حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد 22، جانفي 2023

كم هي جميلة!
(قصّة مترجمة)

الذات عند ديكارت

قراءة في المجموعة القصصية "مسيح القمر الأزرق" لأشرف القرقني: عندما يرضخ الكاتب إلى قدر "الماريونات"

العرب وكأس العالم

كأس العالم بقطر وسؤال الهويّة

تقرؤون في هذا العدد:

كأس العالم بقطر وسؤال الهويّة ص. 3

حمزة عمر

العرب وكأس العالم ص. 4-7

فهمي رمضاني

قراءة في المجموعة القصصية "مسيح القمر الأزرق" لأشرف القرقني: عندما يرضخ الكاتب إلى قدر "الماريونات" ص. 9

رجاء عمّار

الذات عند ديكارت ص. 11

مريم مقعدي

كم هي جميلة! (قصة لفرانسواز جيرو) ص. 12-15

ترجمة: رجاء عمّار

حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن
جمعية تونس الفتاة

تأسّست في مارس 2021

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

أنيس عكروتي
سوسن فري
فهمي رمضاني
مريم مقعدي

التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

IMAGO/NurPhoto/Jose Breton

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

كأس العالم بقطر وسؤال الهويّة

اقترنت عدّة نسخ من كأس العالم لكرة القدم بجدل يثار حولها لأسباب مختلفة: في نسخة 1978، كان الجدل سياسيا حول الانقلاب الّذي عرفه الأرجنتين، البلد المنظّم. في نسخة 1994، كان الجدل حول معنى أن ينظّم بلد (الولايات المتّحدة الأمريكية) لا يعبأ سكّانه كثيرا بكرة القدم أهمّ تظاهرة لهذه الرياضة. في نسخة 2002، طُرح الجدل حول معنى أن ينظّم بلدان (كوريا الجنوبية واليابان)، عرفت علاقاتهما تاريخيّا مدّا وجزرا، معا هذه التظاهرة.

لكن لم يُطرح سؤال الهويّة بمثل هذه الحدّة قبل النسخة الأخيرة من كأس العالم الّتي انتظمت بقطر. ربّما لأنّها المرّة الأولى التّي تنتظم فيها هذه التظاهرة في منطقة مثل منطقتنا العربية ذات العلاقة المتأزّمة بهذه المسألة منذ قرنين من الزمن على الأقلّ.

لا شكّ أنّ قطر نجحت نجاحا باهرا على المستوى التنظيمي، ولكن ربّما يكمن الأثر الأكبر لهذه الدورة في كونها جرّكت السواكن في خصوص مسألة الهوية، وقدّمتها كعنصر يدعو للافتخار. يتجلّى ذلك في عدّة رموز وقع الترويج لها، بالخصوص في حفل الافتتاح الّذي تُليت خلاله آيات من القرآن، وفي تميمة الدورة "لعيب" الّذي اتّخذ شكل شماغ، وهو عنصر مهمّ في لباس سكّان الخليج العربي، وفي فرض قواعد تعلّقت بالرؤية الإسلامية كالحدّ من بيع المشروبات الكحولية ومنع حمل شعارات تنصر المثليّة الجنسيّة، وتجسّمت بشكل جليّ في نهاية المطاف حين ألبس ليونيل ميسي قائد المنتخب الأرجنتيني عباءة عربية قُبيل حمله رمز البطولة.

في مقابل هذه العناصر، كان ردّ الفعل الغربي في بعض الأحيان متشنّجا أو مرتكبا ووضع أصحابه في ألوان من المفارقات. فرغم تصاعد الأصوات قبيل انطلاق الدّورة حول احترام حقوق الإنسان، وخاصة حقوق العمّال، في قطر، لم يجرؤ أيّ بلد على اتّخاذ قرار واضح كالمقاطعة، وحتّى ردود الفعل الرمزية، كحجب الدنمارك لعلمها من القمصان وتغطية لاعبي ألمانيا أفواههم قبل مباراتهم الأولى، كانت محتشمة، بل وانقلبت على أصحابها، إذ لم ينجح المنتخبان المذكوران في تجاوز الدور الأوّل من المنافسة. في المقابل، برزت بعض المواقف المتفهّمة لمسألة الخصوصية، كما عبّر عنها مثلا هوغو لوريس قائد المنتخب الفرنسي، وخاصة ردّ فعل جيانو انفانتينو رئيس الفيفا الّذي انتقد، بشيء من الاستهزاء، الإلحاح على مسألة إباحة المشروبات الكحولية.

أحيانا، بلغت ردود الفعل درجة الهذيان، كما يمكن أن نرى ذلك في زعم بعض وسائل الإعلام الغربيّة أنّ ميسي "أجبر" على ارتداء العباءة وتقديمها هذا المشهد بكثير من الاستهجان. مثل هذه المواقف قلبت المعادلة القديمة في خصوص التعامل مع الهوية، فأضحى العرب في انسجام مع هويّتهم، وأضحى الغربيون يتعاملون معها بكثير من التشنّج الّذي لامس في أحيان كثيرة الصلف والعنجهيّة، وهو ما ولّد نوعا من النفور إزاء هذا التعامل الفوقيّ. في المقابل، كسبت سمعة قطر نقاطا مهمّة، خصوصا لدى جماهير العالمين العربي والإسلامي، فعلى الرغم من تباين المواقف من سياسات هذه الدولة، ساد شعور من التضامن معها خلال تنظيم هذه الدّورة، وكأنّها أعادت الاعتبار لهويّة مهزومة ومجروحة.

تأكّد ذلك من خلال "الإنجازات" الكروية الّتي حقّقتها المنتخبات العربية في هذه الدورة. فطرفا الدور النهائي لم ينهزما إلّا على يدي منتخبين عربيين. ورسم المنتخب المغربي ملحمة لا سابق لها من خلال بلوغه الدور نصف النهائي متفوّقا على منتخبات أوروبية عريقة في اللعبة كبلجيكا وإسبانيا والبرتغال. مثل هذه الانتصارات شكّلت كسرا لحاجز معنوي كبير كان يستبطن تفوّق مثل هذه المنتخبات وكان يستدعي خوض غمار مثل هذه الدورات بعقليّة "الهزيمة المشرّفة"، وكأنّ الهزيمة كانت قدرا محتوما، وأفضل ما كنّا نستطيعه الإبداع فيها!

قد تشكّل مثل هذه الانتصارات حافزا معنويا ربّما يساهم بعض الشيء في دفع المجتمعات العربية إلى مقاربة مسألة الهويّة بروح أخرى. لكن لا ينبغي أن ننسى أنّ الأمر يتعلّق بلعبة قد لا يعني الانتصار فيها، سواء على المستوى التنظيمي أو الكروي، شيئا يذكر أمام الجانب الحضاري الّذي لا تزال الطريق فيه معقّدة وشاقة...

بقلم: **حمزة عمر**
رئيس جمعية تونس الفتاة
hamza@tounesaf.org

> *مثل هذه المواقف قلبت المعادلة القديمة في خصوص التعامل مع الهوية، فأضحى العرب في انسجام مع هويّتهم، وأضحى الغربيون يتعاملون معها بكثير من التشنّج*

العرب وكأس العالم

بقلم: **فهمي رمضاني**

أستاذ مبرّز في التاريخ

عضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

> *كان عبد الرحمان فوزي أول لاعب عربي وافريقي يسجل في كأس العالم*

كان أول ظهور للعرب في كأس العالم في دورتها الثانية سنة 1934 التي أقيمت آنذاك بإيطاليا الفاشية التي كانت تحت حكم موسوليني. تترشح فقط مصر كممثل وحيد للعرب، بعد أن خاضت التصفيات ضد كل من تركيا وفلسطين. وكانت القرعة قد وضعت المنتخب المصري في مواجهة المنتخب المجري، الذي كان من أقوى الفرق الأوروبية آنذاك لتكون أول مباراة يخوضها العرب في كأس العالم. وقد انتهى شوطها الأول بالتعادل بين الفريقين وكان عبد الرحمان فوزي أول لاعب عربي وافريقي يسجل في كأس العالم. بعد دقائق ينقطع الاتصال التلغرافي بين مصر وإيطاليا ويظن الجميع أن المباراة انتهت بالتعادل (2-2). لكن يعلم المصريون والعرب في اليوم التالي بأن المباراة قد انتهت بفوز المجر أربعة أهداف مقابل هدفين وتغادر بذلك مصر هذه البطولة العالمية لكن هذه المباراة لم تكن إلا خطوة أولى في طريق البدايات.

بعد دورة إيطاليا 1934 تغيب المنتخبات العربية لدورات متتالية: فرنسا 1938، البرازيل 1950، سويسرا 1954، السويد 1958 الشيلي 1962، وانجلترا 1966.يعود العرب بعد ذلك إلى الظهور في الدورة التاسعة بالمكسيك سنة 1970 وسيكون الحضور العربي هذه المرة ممثلا في المغرب فقط كممثل وحيد لعرب افريقيا في حين يغيب عرب آسيا عن المونديال. تميزت هذه الدورة بكونها شهدت أول نقل تلفزيوني ملون للمباريات، في وقت كانت فيه أغلب البيوت العربية لم تدخلها بعد تلفزيونات ملونة.

تضع القرعة المنتخب المغربي مع منتخبات قوية وعلى رأسها المنتخب الألماني الذي سيكون حجر عثرة في طريق العرب طيلة دورات كأس العالم.

على الرغم من تقديم المغاربة لملحمة كروية رائعة آنذاك، إلا انهم انهزموا (2-1) أمام خبرة الألمان الطويلة. ينهزم المنتخب المغربي كذلك في مباراته الثانية أمام البيرو ليصبح بذلك من أول المغادرين للبطولة العالمية ويخوض مباراته الأخيرة مع بلغاريا وتنتهي بالتعادل فكانت تلك أول نقطة عربية في تاريخ كأس العالم.

يغيب العرب مرة أخرى عن الدورة العاشرة لكأس العالم سنة 1974 بألمانيا، لتشهد الدورة التالية التي أقيمت بالأرجنتين سنة 1978 أول ظهور للمنتخب التونسي. تضع القرعة التونسيين أمام منتخبات قوية وهي المكسيك وبولونيا والمنتخب الألماني الذي أصبح قدرا لا مفر منه بالنسبة للعرب في كأس العالم.

يقابل المنتخب التونسي المكسيك في مباراته الأولى في المونديال وعلى الرغم من ارتباكه في البداية وهو ما كلّفه هدفا في شباكه، فإنه انتفض في الشوط الثاني وسجل ثلاثة أهداف في الشباك المكسيكية، ليكون فوز تونس على المكسيك أول فوز عربي في تاريخ كأس العالم.

أصبح التونسيون في تلك اللحظة يحلمون بإمكانية التقدم لخوض مراحل متقدمة في مونديال الأرجنتين. لكن العكس يحصل في المباراة الثانية مع بولونيا حيث انهزم المنتخب التونسي هدف مقابل لا شيء وهو ما صعب الأمور على اللاعبين بحكم أن المباراة الأخيرة ستكون مع ألمانيا. يقدم المنتخب التونسي في مباراة ألمانيا أداء رائعا، حيث صمد طيلة تسعين دقيقة ولم يفلح الألمان في هز الشباك التونسية. لم تكن هذه النتيجة مع ذلك كافية لكي يترشّح المنتخب التونسي إلى الدور القادم

كيف كانت بدايات العرب في كأس العالم؟

يمكن القول أن البدايات قد تأثرت بوضع الدول العربية التي كانت أغلبها قد خرجت حديثا من الاستعمار ولم تهتم بعد بالقطاع الرياضي الذي كان ثانويا بالمقارنة مع قطاعات حيوية أخرى كالتعليم والصحة والنقل. إضافة إلى ذلك تأخرت بعض الدول العربية في تكوين منتخباتها الوطنية خاصة فيما يتعلق بعرب آسيا حيث لم يكن هناك اهتمام كبير برياضة كرة القدم.

الثمانينات والتسعينات: الإنجازات والخيبات.

يصل إلى الدورة الحادية عشرة التي أقيمت في إسبانيا سنة 1982 منتخبان عربيان وهما الجزائر التي تمثل عرب افريقيا وتصل للمرة الأولى إلى النهائيات والكويت عن عرب آسيا والتي تترشح لأول مرة كذلك. كان المنتخب الجزائري آنذاك مكونا من جيل جديد موهوب عُلّقت عليه الكثير من الآمال. يجد الجزائريون أنفسهم الجزائري مع مجموعة جيدة تتزعمها ألمانيا التي أصبحت لعنة مؤكدة ترافق المنتخبات العربية في ظهورها الأول.

وقد واجهت الجزائر في مباراتها الأولى المنتخب الألماني المدجج بالنجوم والذي استهان بعض الشيء بالمنتخب الجزائري ولم يعطه قيمة كبرى، لكن تحدث المفاجأة في تلك المباراة التاريخية، حيث تنتصر الجزائر بهدفين مقابل هدف وهو انجاز جزائري عربي لا تزال تذكره الأجيال إلى اليوم. تحدثت آنذاك الصحف عن هذا الفريق العربي المغمور وعن أدائه العالي والبطولي وعن فنياته المتميزة التي مكنته من الانتصار على ألمانيا.

تنهزم الجزائر في مباراتها الثانية أمام النمسا وتنتصر على الشيلي في مباراتها الأخيرة ويعتقد الجزائريون انهم في الدور الثاني من كأس العالم لكن مؤامرة نمساوية ألمانية لترشيح منتخبيهما حرمت الجزائر من التأهل، لا سيّما وأنّ المباراتين الأخيرتين في المجموعة لم تجريا بالتزامن، وهكذا ودعت الجزائر كأس العالم في تلك الدورة تاركة أثرا جيدا ومشرفا للكرة

Getty Images

العربية.

أما الكويت التي تمثل عرب آسيا لأول مرة، فقد وقعت في مجموعة ضمّت كلًا من الفريق الإنجليزي صاحب التقاليد الكروية العريقة والمنتخب الفرنسي ومنتخب تشكوسلوفاكيا. كانت المباراة الأولى للكويت مع تشكوسلوفاكيا وقد أظهر فيها الكويتيون أداء جيّدا جعل آلاف المتابعين يهتمون بهذا الفريق اوقد انتهت هذه المباراة بالتعادل هدف لهدف. أما المباراة الثانية فقد كانت مع الفريق الفرنسي الذي كان يمتلك لاعبين مهرة أبرزهم النجم ميشال بلاتيني، وعلى الرغم من صمود الكويت إلا أنها انهزمت في النهاية (3-1) لتكون المباراة الأخيرة مع الفريق الإنجليزي وهي من أجمل المباريات التي قدمتها الكويت في تاريخها، حيث سيطرت على مجرى اللعب وأظهر اللاعبون فنيات عالية، لكن فرصة سانحة للإنجليز جلبت لهم هدفا في الدقائق الأخيرة، لتغادر الكويت تلك البطولة وتغيب عن المونديال إلى اليوم.

في سنة 1986 انتظمت كأس العالم في المكسيك مرة أخرى، ولأول مرة يصل إلى هذه الدورة ثلاثة منتخبات عربية الجزائر، المغرب والعراق وسيكون لكل منهم أثره في كأس العالم. تخوض الجزائر التي تحافظ على جيل 1982، مباراتها الأولى ضد ايرلندا الشمالية وينتهي بالتعادل، ثم تكون مع البرازيل في المباراة الثانية والتي استبسل فيها الجزائريون أمام العملاق اللاتيني المصنف الأول عالميا آنذاك وانتهت المباراة بخسارة هدف واحد مقابل لا شيء. أما المباراة الأخيرة فقد كانت ضد إسبانيا التي لم تكن في مستوى البرازيل ولكنها هزمت الجزائر بنتيجة جيدة حيث سجلت ثلاثة أهداف مقابل لا شيء للجزائريين. يعزى سبب الهزيمة إلى الخلافات التي دبت بين اللاعبين المحترفين واللاعبين المحلين لتلقي بظلالها على المباراة وتكون الجزائر قد غادرت مونديال المكسيك خالية الوفاض.

أما العراق فقد كان يشكو من إدارة غير مستقرة، حيث تم تغيير ثلاثة مدربين في فترة قصيرة جدا ويعود ذلك إلى تحكّم عدي صدام حسين في إدارة جامعة كرة القدم. خاض العراق مباراته الأولى ضد البارغواي وانهزم بهدف مقابل لا شيء، أما المباراة الثانية فقد كانت مع بلجيكيا وانهزمت فيها العراق بسبب طرد لاعب عراقي بداية الشوط الثاني لتودع العراق تلك البطولة مثلما فعلت الجزائر. أما مباراته الثالثة فقد كانت ضد البلد المضيف المكسيك وهي أول مباراة لمنتخب عربي ضد البلد المضيف وانتهت بهزيمة العراق هدف مقابل لا شيء.

نأتي أخيرا للمغرب الذي كان يمتلك آنذاك جيلا واعدا سيترك بصمته في تلك النسخة، حيث خاض أول مباراة أمام بولونيا وانتهت بالتعادل السلبي والمباراة الثانية أمام المنتخب الإنجليزي، وانتهت كذلك بالتعادل السلبي لينتصر المغرب في مباراته الثالثة أمام البرتغال ثلاثة أهداف مقابل هدف. كان هذا الانتصار قد وضع المغرب في الدور الثاني من كأس العالم ويكون هذا التأهل أول تأهل عربي للدور الثاني في كأس العالم وهو تأهل عن جدارة واستحقاق جعل المغرب البلد العربي الأول الذي يقوم بهذا الإنجاز التاريخي. يواجه المغرب في الدور الثاني المنتخب الألماني الذي استطاع الانتصار بهدف دون ردّ.

تأتي فترة التسعينات وتنتظم دورة 1990 بإيطاليا وتصل كل من الإمارات ومصر إلى النهائيات. تخوض الإمارات مباراتها الأولى ضد كولومبيا بجيلها الذهبي آنذاك وقد انتهت بهزيمة الإمارات هدفين مقابل لا شيء. تكون المباراة الثانية أمام ألمانيا التي تقسو على الفريق الإماراتي وتضع في شباكه خمسة أهداف. تنهزم الإمارات كذلك أمام يوغسلافيا بأربعة اهداف مقابل لا شيء لتغادر الامارات هذه البطولة دون ترك انجاز كبير وستكون كذلك مشاركتها الوحيدة في هذه البطولة العالمية.

أما مصر التي عادت بعد غياب طويل عن كأس العالم دام 56 سنة وخاضت

”
أما العراق فقد كان يشكو من إدارة غير مستقرة، حيث تم تغيير ثلاثة مدربين في فترة قصيرة جدا ويعود ذلك إلى تحكّم عدي صدام حسين في إدارة جامعة كرة القدم
“

مباراة تأهل صعبة أمام الجزائر، فإنها قد وجدت نفسها في مجموعة تضم الكبار مثل هولندا وإنجلترا. خاضت مصر مباراتها الأولى ضد المنتخب الهولندي الذي كان فريقا محترما جدا وقد انتهت بالتعادل. أما المباراة الثانية فقد كانت أمام إيرلندا التي عُرفت بالقوة والخشونة والشراسة لذلك خيّر المدرب المصري الجوهري لعب مباراة دفاعية طيلة التسعين دقيقة. وانتهت هذه المباراة بالتعادل السلبي الأمر الذي أثار استياء الجماهير المصرية لأن المدرب المصري الجوهري قرر لعب مباراة دفاعية كاملة. المباراة الأخيرة كانت مع إنجلترا وانتهت بهزيمة مصر هدف مقابل لا شيء لتغادر البطولة لكن بوجه أفضل من الإمارات في تلك الدورة. وبعد تلك الدورة يتواصل غياب المنتخب المصري عن المونديال ليعود مرة أخرى وهي الثالثة في روسيا 2018.

تستضيف الولايات المتحدة الأمريكية دورة 1994 من كأس العالم التي تقام هذه المرة في بلد لم يكن يعرف باهتمامه بكرة القدم لكن ستكون من أكثر النسخ التي سجلت حضور الجماهير، كما أن هذه الدورة ستسجل أول مواجهة بين فريقين عربيان في بطولة عالمية. يصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية كل من المغرب للمرة الثالثة في تاريخها والسعودية للمرة الأولى وسيقع هذان المنتخبان في نفس المجموعة إلى جانب هولندا وبلجيكا. تخوض المغرب مباراتها الأولى ضد بلجيكا التي كانت تمتلك حارس من الحراس المهرة آنذاك عجز أمامه المغاربة، لتنتهي المباراة بانتصار بلجيكا.

أما المباراة الأولى للسعودية فقد كانت ضد هولندا وسط حضور جماهيري كبير تخطى 50 ألف متفرج وفي الدقيقة 18، سُجّل أول هدف سعودي في تاريخ المونديال لكن عودة هولندا في الشوط الثاني أسفر عن هدفين هولنديين لتنتهي المباراة الأولى بهزيمة السعودية. يتواجه الفريقان العربيان في المباراة الثانية وعلى الرغم من أن العديد رجحوا انتصار المغرب، فإن السعودية تفاجأ الجميع وتحقق الانتصار، ليغادر بذلك المغاربة كأس العالم وتبقى السعودية لمواجهة بلجيكيا للحلم بإمكانية تحقيق إنجاز المغرب في كأس 1986. واجه المغرب في مباراته الأخيرة هولندا وانهزم كذلك وتم اعتبار تلك المشاركة من أسوأ المشاركات المغربية في هذه البطولة.

تواجه السعودية بلجيكا وتهفو قلوبهم للمرور للدور الثاني وفعلا يتحقق الحلم من خلال هدف أسطوري لسعيد العويران الذي لقب بعد ذلك "بمارادونا العرب"، لتكون بذلك السعودية قد حققت أول انجاز لعرب آسيا وثاني انجاز عربي بعد المغرب. في الدور الثاني تواجه السعودية السويد الذي انتصر على السعودية بثلاثة اهداف مقابل هدف ليعود السعوديون بإنجاز جيد لأراضي الوطن.

تأتي نسخة 1998 في فرنسا التي تستضيف تلك الدورة بعد 60 عاما (1938) وهي المرة الأولى التي يشارك فيها 32 فريق بدل 24 ويصل إلى هذه الدورة كل من تونس والسعودية والمغرب. تكون المواجهة الأولى لتونس مع إنجلترا وتنتهي بهزيمة تونس هدفين مقابل لا شيء رغم تألق حارس مرمى المنتخب التونسي شكري الواعر آنذاك. ويتواصل مسلسل الهزائم في هذه الدورة حيث تنهزم تونس كذلك في مباراتها الثانية أمام كولومبيا بهدف مقابل لا شيء. وهنا تم تحميل الهزيمة لاستراتيجية المدرب هنري كاسبرجاك الدفاعية وتولي علي السلمي قيادة المنتخب. وتم اعتبار ذلك فضيحة باعتبار أن المدرب لا يمكن إقالته خلال الدورة لما في ذلك من إهانة للاعبين وللكرة التونسية. المباراة الثالثة كانت شكلية للتونسيين بحكم خروجهم نهائيا من مونديال فرنسا ويكتفون فقط بنقطة التعادل ضد رومانيا ليعود التونسيون وهو يشعرون بالمرارة والانكسار، إذ كان من الممكن تحقيق نتيجة أفضل مع جيل واعد من اللاعبين.

لا يحالف الحظ كذلك المنتخب السعودي الذي يجد نفسه مع البلد المضيف ومع الدنمارك وجنوب افريقيا. وتعيش السعودية كذلك سلسلة من الهزائم حيث تنهزم أمام الدنمارك ثم أمام فرنسا بأربعة أهداف مقابل لا شيء وهي أقسى هزيمة عرفها منتخب عربي إلى حد ذلك التاريخ، وفي تلك اللحظة تتم إقالة المدرب البرازيلي كارلوس ألبرتو بيريرا لتصبح الإقالة ضمن دورة كأس العالم تقليدا عربيا بعد أن فعلتها تونس. ويقود المدرب الوطني محمد الخراشي آخر مباراة أمام جنوب افريقيا والتي تنتهي بالتعادل الإيجابي.

يبقى الفريق المغربي أفضل فريق عربي في تلك الدورة على الرغم من تواجده ضمن مجموعة مهمة تضم البرازيل والنرويج وإسكتلندا. ويواجه المغاربة في المباراة الأولى الفريق النرويجي وينجحون في فرض التعادل الإيجابي، ثم تكون المباراة الثانية مع البرازيل وينهزم المغرب بثلاثية مقابل لا شيء. تكون المباراة الأخيرة أمام اسكتلندا التي يفوز فيها الفريق المغربي بثلاثة أهداف مقابل لا شيء فيشعر المغاربة بأنهم قد نجحوا في انتزاع بطاقة التأهل للدور الثاني لكن سيحدث مالم يكن في الحسبان إذ كان من المتوقع انتصار البرازيل على النرويج في المباراة الأخيرة لكن فوز النرويج المفاجئ جعل المغرب يغادر من الدور الأول ولكن بمشاركة مشرفة وأفضل من تونس والسعودية.

حققت المنتخبات العربية خلال فترة الثمانينات والتسعينات بعض الإنجازات لكن لم يتجاوز أي منتخب عربي الدور ثمن النهائي في كأس العالم وانتهت أغلب المشاركات بالخروج من دور المجموعات. إضافة إلى ما ذكرنا ألقى غياب الاستقرار في طاقم المدربين بظلاله على وضع المنتخبات العربية حيث تجرى الإقالات بشكل عشوائي وغير مدروس (تونس في مونديال فرنسا 1998) مما يؤثر على جاهزية المنتخب واستعداديته كما يتدخل في بعض الأحيان رجال السياسة لفرض توجهات معينة (العراق في مونديال المكسيك 1986).

العرب وكأس العالم في القرن الجديد

لأول مرة ومع بداية القرن الجديد يتنفس كأس العالم هواء آخر غير هواء الأمريكيتين أو أوروبا، حيث أقيمت دورة 2002 لأول مرة في قارة آسيا وتحديدا في اليابان وكوريا الجنوبية، وكأن صفحة جديدة قد فتحت للتو في كأس العالم. ويصل إلى هذا الكأس منتخبان عربيان وهما تونس كممثل لعرب افريقيا

> حققت المنتخبات العربية خلال فترة الثمانينات والتسعينات بعض الإنجازات لكن لم يتجاوز أي منتخب عربي الدور ثمن النهائي في كأس العالم

والسعودية كممثل لعرب آسيا.

تجد السعودية نفسها ضمن مجموعة صعبة نسبيا تضم كل من المنتخب الألماني الذي كان مدججا بالنجوم وايرلندا والكاميرون. المباراة الأولى تخوضها السعودية أمام المنتخب الألماني وهنا تكون الفضيحة حيث تنهزم بثمانية أهداف مقابل لا شيء وهو يوم حزين في الكرة السعودية خاصة والعربية عامة. وتنهزم كذلك السعودية في كل من مباراة الكاميرون ومباراة ايرلندا لتغادر المونديال وفي شباكها 13 هدف وهي أسوأ مشاركة عربية إلى حد هذه اللحظة، وكأن القرن الجديد قد أعلن عن انتكاس الكرة العربية وانحدارها.

أما تونس التي وجدت نفسها في مجموعة ضمّت روسيا، بلجيكا واليابان، أحد البلدين المنظّمين. تواجه تونس روسيا في المباراة الأولى وتنهزم بهدفين مقابل لا شيء. أما المباراة الثانية أمام بلجيكا فقد انتهت بالتعادل. أما المباراة الأخيرة فقد كانت صعبة أمام البلد المضيف اليابان والتي انتهت بهزيمة أيضا. وبذلك يكون مونديال القرن الجديد قد سجل أسوأ مشاركة عربية وخلف حزن جماهيري عربي كبير.

بعد أربع سنوات، تحرم ألمانيا المغرب من إمكانية تنظيم كأس العالم، وتستضيف دورة 2006 بدقة وتنظيم وصرامة الألمان. وتصل للدورة كل من السعودية وتونس التي تضعهما القرعة معا مع كل من أوكرانيا وإسبانيا.

تكون المباراة الأولى لقاء عربيا ينتهي بالتعادل هدفين لهدفين، ثم تنهزم السعودية بأربعة أهداف مقابل لا شيء مع أوكرانيا، في حين تواجه تونس إسبانيا وتقدم مباراة جيدة خاصة في الشوط الأول لكن تنهزم في النهاية ثلاثة أهداف مقابل هدف. أما السعودية فقد واصلت سلسلة الإخفاقات وتنهزم أمام إسبانيا، في المقابل تكون تونس قد علقت آمالا كبيرة على مباراة أوكرانيا، لكن خروج زياد الجزيري مهاجم المنتخب بعد ورقة حمراء وتحصل أوكرانيا على ضربة جزاء نجحت في تحويلها لهدف عقّد الأمور لتكون كذلك تونس من ضمن المغادرين لأرض الألمان، على الرغم من قربها للتأهل بجيل جيد من اللاعبين كان قد تحصل قبل عامين على كأس افريقيا للأمم سنة 2004. أما السعودية فإن مشاركتها كانت سيئة ولكن ليست بمثل سوء مشاركة 2002.

تقام دورة كأس العالم لسنة 2010 في القارة السمراء لأول مرة في دولة جنوب أفريقيا، وتصل الجزائر فقط كممثل للعرب لكنها تخرج من الدور الأول بعد سلسلة من الهزائم أمام الولايات المتحدة الأمريكية وسلوفينيا على الرغم من امتلاكها لجيل جيد. تمثل كذلك الجزائر مرة أخرى العرب في دورة 2014 بالبرازيل حيث تحول كأس العالم من السحر الافريقي إلى الروح اللاتينية الكرنفالية. وتكون الجزائر في مجموعة متكونة من بلجيكا، روسيا وكوريا الجنوبية وتستطيع اقتلاع بطاقة التأهل للدور الثاني وكتابة انجاز تاريخي جديد للكرة العربية لم تحققه المنتخبات العربية في القرن الجديد. لكن الحظ السيء يضعها في مواجهة ألمانيا التي ستكون بطلة تلك الدورة البرازيلية.

في سنة 2018 تقام دورة كأس العالم في روسيا وتصل أربعة منتخبات عربية وهو رقم جيد وهي مصر، تونس، المغرب والسعودية لكنها تفشل كلها في تخطي دور المجموعات وتغادر الأراضي الروسية خالية الوفاض. يمكن القول بأن القرن الجديد قد شهد تراجع كبير لمستوى الكرة العربية ولأداء منتخباتها حيث نجحت الجزائر فقط في تحقيق نتيجة جيدة في نسخ كأس العالم في حين فشلت أغلب المنتخبات الأخرى هذا إن لم تغب كثيرا في الظهور.

أما في دورة قطر 2022 والتي أقيمت بالعاصمة القطرية الدوحة فقد كانت نسخة استثنائية أكدت نجاح دولة عربية في تنظيم أكبر تظاهرة رياضية في العالم. وصلت لهذه النسخة كل من قطر البلد المضيف والمغرب والسعودية وتونس وحققت المغرب إنجازا تاريخيا بالوصول إلى النصف النهائي والحصول على المركز الرابع فيما غادرت تونس والسعودية وقطر الدورة من دور المجموعات على الرغم من تحقيق انتصارات تاريخية ضد فرنسا والأرجنتين.

في النهاية: كيف كانت علاقة العرب بكأس العالم؟ ولماذا كان الفشل حليف جل المنتخبات تقريبا؟ ولماذا لم تنجح أغلب المنتخبات العربية في تجاوز دور المجموعات؟

على الرغم من أن بعض المنتخبات العربية قد تركت أصداء جيدة في تاريخ كأس العالم مثل المغرب والسعودية والجزائر فإن جلها لم يفلح في تجاوز دور المجموعات أو الوصول إلى مراحل متقدمة في البطولة.. كما أن إهمال المواهب وعدم صقلها وتطويرها يؤثر بشكل كبير على مستوى الكرة العربية هذا بالإضافة إلى تدخل المال الفاسد في تحديد السياسات والتوجهات في بعض المنتخبات العربية دون أن ننسى غياب استقرار المدربين وتحكم بعض السياسيين في جامعات كرة القدم. يمكن الإشارة كذلك إلى غياب استثمار الأموال بطريقة صحيحة إذ على الرغم من التمويل الجيد المتوفر لأغلب المنتخبات العربية إلا أنه لم يسهم في الارتقاء بواقع الكرة العربية فقبل الأموال هناك مواهب يجب أن تنشأ جيدا منذ البداية لتكوين أجيال جديدة موهوبة فالتدريب يبدأ مع شبان يافعين وليس مع لاعبين محترفين كما يعتقد البعض. لتتم استثمار الأموال بطريقة صحيحة لكن حلم حمل قائد عربي لكأس العالم لا زال بالإمكان تحقيقه في الدورات القادمة إذا ما توفر الطموح والجرأة والإرادة وكذلك توفير الإمكانيات المادية الكفيلة بالنهوض بكرة القدم العربية.

»
يمكن الإشارة كذلك إلى غياب استثمار الأموال بطريقة صحيحة إذ على الرغم من التمويل الجيد المتوفر لأغلب المنتخبات العربية إلا أنه لم يسهم في الارتقاء بواقع الكرة العربية
«

إصدارات الجمعية متوفّرة للتحميل

في صيغة رقمية على الرابط:

https://tounesaf.org/?page_id=27761

قراءة في المجموعة القصصية "مسيح القمر الأزرق" لأشرف القرقني:

عندما يرضخ الكاتب إلى قدر "الماريونات"

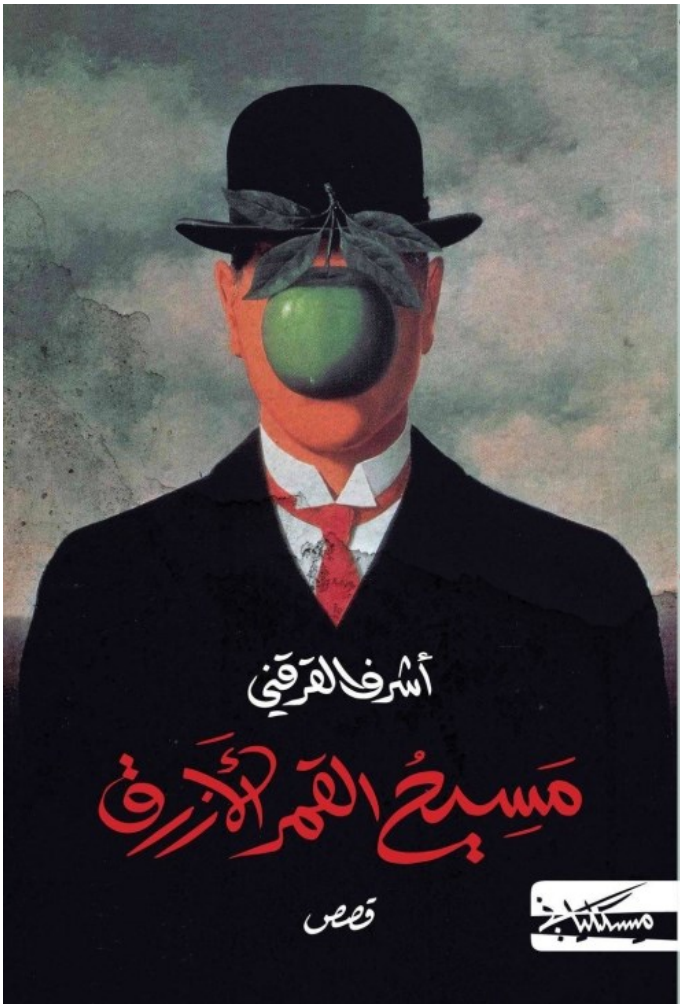

سعيت إلى التركيز... بل والتنقيب في كل نص من النصوص-وهي إن كانت جمعا فهي مفرد يتم تشويه سحنته حينا وحشوه أسماء كتاب ذاع صيتهم ورغم اقتراحهم أفكارا عديدة غير أن واحدة منها رسخت في ذهن أحدهم و"سوّقها"، فتلقفها البقية دون الاجتهاد لاكتشاف غيرها.

أعود إلى التنقيب الذي رصدت له غاية تتمثل في وجود فكرة واحدة يتم التعبير عنها بفرادة لأن من يتقدم في القراءة يفقد تدريجيا الأمل في مطالعة فكرة مستنبطة من المخيلة، فحتى البهلوانيات العجائبية التي أصرّ الكاتب على تأديتها في كل قصة تقريبا، وكأنها السبيل الوحيد ليحظى النص بالتفرد، أظهرت حاجته الكبيرة إلى الدربة كي يتعلم المشي على حبله الخاص بكل ثقة دون أن يفضح سر الحبال التي تحركه كـ"ماريونات" فعوض أن يتحكم فيها، استبدت به وأظهرت هلعا من مواجهة الإبداع متجردا مما حسبه دروعا أو "حروزا" ليكتفي القارئ بالتعليق: "يحرز المعري... يحرز صمويل بيكيت... يحرز فولكنر..."، فإذا هي أصباغ لم تزد عن الحد فحسب وإنما غيّبت الهوية ولم تبق سوى إبهاما - وهنا يؤخذ المعنى بدلالتيه- ليبصم على قصص تمضي دون ترك أثر، فهي لعبة وقتية يجرب فيها مهارته ولا ينسى أن يتباهى بمطالعاته، وإن لا يمكن الجزم بعمقها، فإيراد أسماء فائزين بنوبل أو غيرهم من المشاهير ونيتشه ومطرقته وأفلاطون وكهفه وأغوتا وأمسها وقصة "النوم في الغرفة البيضاء" التي نجد شبيهتها في مجموعة محمد فطومي "جل ما تحتاجه زهرة قمرية" مع نهاية متطابقة... ومحاولة تدوير فكرة اقترحوها ليس حجة على التفكر فيما قيل أو دليلا أن المنتوج المدور أكسبته المعدة الذهنية المتخمة حياة جديدة.

تحتاج هذه النصوص إلى المراجعة، بعد التمكن من عملية إعادة التدوير، وهي صنعة تكتسب بالدربة ومهما بلغ صاحبها من مرونة لن يتبوأ مرتبة المبدع. أما في طرحها الحالي، تحتاج نقاشا مطولا لتصحيح الأخطاء فالقمر مثلا ليس كوكبا -حتى بخدعة عجائبية ما بعد حداثية أو ما يشاء الكاتب من المفاهيم- فحتى الغريب لن يستقيم دون الحرص على تشكيل منطقه الخاص الذي مهما شذ يحافظ على معقوليته المرتبطة به، فالمجهود لا يبلغ مداه إذ يجني على الفكرة ويحط من قيمتها ويقدمها مبتورة أو يلقي دلوا في آبار غيره فينقطع الحبل السردي حينا بالدفع بالشخصيات إلى أسهل النهايات/البدايات وهي الموت أو يخرج الدلو ملآن ليفرط فيه ويسكبه على عجل.

بقلم: **رجاء عمّار**

باحثة في علوم الإعلام والاتصال

شاعرة وقاصّة

rajabalsam@gmail.com

> ”
>
> ***تحتاج هذه النصوص إلى المراجعة، بعد التمكن من عملية إعادة التدوير، وهي صنعة تكتسب بالدربة ومهما بلغ صاحبها من مرونة لن يتبوأ مرتبة المبدع***
>
> “

في إطار سلسلة المحاضرات "التاريخ من رحاب الأكاديميات إلى الفضاء العام"، نظّمت جمعيّة تونس الفتاة ودار الثقافة السليمانية محاضرة قدّمها د. فوزي البدوي بعنوان "هل ما زال من الممكن تأسيس الإيمان على التاريخ؟" وذلك يوم السبت 3 ديسمبر 2022.
التسجيل الكامل للمحاضرة متوفّر على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=8dl5Ng8mAyI

الذات عند ديكارت

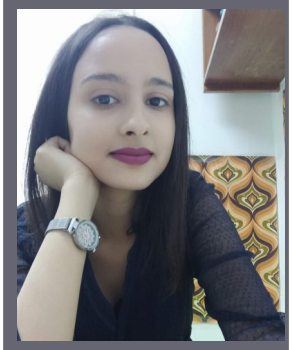

بقلم: **مريم مقعدي**
طالبة فلسفة والمشرفة على مجموعة "عكاظيات"
mogadimariem@gmail.com

René Descartes/ larousse.fr

إنّ انبثاق الفلسفة الحديثة كان تدشينا لوعي جديدا وتحقيقا لفتح كبير طالما انتظرته الإنسانية، هذا الانسان الذي كان محروما من التعبير عن وجوده بسبب خضوعه لنموذج فكري يتنكر لذاتيته ولا يعترف لكينونته. ثم إن هذا النظام في العصر القديم كان يحكم الموجودات بتراتبية كسمولوجية، فالإنسان بقدر ما هو أرفع الكائنات، بقدر ما هو أقل قيمة من الكائنات الميتافيزيقية. كما لم تعد هذه الذات تابعة إلى كائن ميتافيزيقي مطلق، تكتشف نفسها من خلاله بنور اشراقي يقذفه الله في الصدر.

ومن هنا انتظرت الإنسانية ديكارت لا لشيء وإنما لأنه أعاد للإنسان ذاتيته وأوكل إليه مهمة تحقيق ماهيته، بإرسائه لكوجيتو "أنا أفكر إذن أنا موجود" حرّر به طاقات الانسان الفكرية والإبداعية.

هذا الانقلاب الفكري الذي عقب عصر النهضة أرسى للحقيقة معايير جديدة أساسها هو مبدأ الذاتية المزودة باليقين كما أرسى للوجود كينونة جديدة مركزها هو الإنسان. فـ"ليس للكوجيتو مدلول فلسفي قوي، لو لم يكن واضعه قد سكنه طموح التأسيس الأخير والنهائي" على حد تعبير بول ريكور

فكيف نميز إذن بين قول ديكارت الذي جعل الذات سيدة ومالكة للعالم وبين التصور القديم الذي جعل الذات أرقى الذوات في تلك التراتبية الكسمولوجية التي يقيمها؟

بهذا المعنى، هل يمكن أن نقول ان ديكارت قطع قطيعة تامة مع من سبقه؟

لئن كان "الفلاسفة لا يخرجون من الأرض كالفطر" على حد عبارة ماركس، فإنّ جدة ديكارت الثورية تكمن في كون الذات الديكارتية ميز بقدرتها على الوعي أي أنها تعتقد في العلم أي في قدرة الإنسان الحديث. ومن هنا ثمة فرق بين قدرة الانسان التقليدي، المحكوم بتراتبية كسمولوجية وبين قدرة الانسان الذي أصبح يتميز عن الموضوع كما أصبح صانعا للعلم والمعرفة وبذلك فهو يؤثر على العالم.

لقد كان فوكو على حق إذن عندما اعتبر أن الإنسان لم يولد قبل القرن السابع عشر. إنّ هذا القرن الذي كان تأسيسا لوعي جديد وتأسيسا لذاتية تعرّف نفسها كوعي وليس من خلال الكائنات الأخرى، وبهذا أصبحت الذات المشرّع الوحيد للحقائق (ليس من الاله) فأنا أكتشف ذاتي ووعي عن طريق الفكر وحده وفي هذا الإطار ستحقق هذه الذات غاياتها المعرفية وذاتيتها باستبعاد الآخر، فلا دخل إذن لهذا الآخر ولهذا العالم الخارجي في معرفة الذات لذاتها، حتى الجسد أقصاه ديكارت من العلاقة المعرفية، واستبدل هذا الآخر بالإله: فهو الضمانة الفعلية التي تمكن الذات من بلوغ اليقين وذلك عن طريق "العقل الذي وزعه الإله بصورة عادلة بين الناس"(ديكارت " مقالة الطريقة ").

ولكن يقول ديكارت في التأمل السادس (يتحدث عن علاقة النفس بالجسد):"اني لست مقيما في جسدي كما يقيم البحار في سفينته ولكنني فوق ذلك متصل به اتصالا وثيقا ومختلطا معه، بحيث أؤلف معه وحدة منفردة. لو لم يكن الأمر كذلك فما كنت لأشعر بألم إذا أصيب بدني بجرح وأنا الذي ليس إلا شيئا يفكّر ولكنني أدرك ذلك الحرج وحده كما يدرك البحار بنظره أي عطب في سفينته"

نفهم من خلال قول ديكارت هذا إن الانسان وحدة فمن هو الانسان لدى ديكارت؟ هل هو نفس أم نفس وجسد؟

إنّ الانسان وحدة ولكنها وحدة مؤكدة بالوعي. فالجسد دائما يبقى رهينا للنفس وخاضعا لإملاءاتها

عندما مرّ ديكارت بتجربة الشك، أدرك انه ليس بحاجة الى وساطة أنه وجود كامن بذاته لذلك نقول أن الذات عند ديكارت هي فكر فعندما سأل ديكارت: "ما هو الشيء الذي يفكر؟" إنما يحدد ماهيتها بكونه شيء واع، من هنا يمكن أن نقول أن الذات الديكارتية هي تمثل حضورا ووعيا.

ولكن هذه الذات الديكارتية تتمثل ذاتها وتعي بكل ما يرتبط بها أي بالجسد وحتى بالعالم هنا نفهم أن ديكارت يعود إلى الرؤية التفاضلية القديمة التي تفضل النفس على الجسد وتجعله مرتهنا إليها، فهل هذه الذات هي نفسها الذات الكانطية؟

هذه الاطلاقة في مفهمة الذات سنجد لها معارضة شديدة مع امتداد الفكر الفلسفي الما بعد الديكارتي بدءا من كانط الذي رفض مبدأ الشك الديكارتي وصولا إلى هيغل الذي طابق بين مقولات العقل ومعطيات الواقع بلوغا إلى الفلسفة المعاصرة التي ستشهد انقلابا فلسفيا على الكوجيتو الديكارتي، ليستبدل بمناهج فلسفية جديدة حاولت بعث مفهوم الذات من خلال الاخر ولربما هذا ما سيدفع بول ريكور إلى نعت الكوجيتو الديكارتي بالكوجيتو المجروح أو الكوجيتو المناضل.

> ”
>
> ***عندما مرّ ديكارت بتجربة الشك، أدرك انه ليس بحاجة الى وساطة أنه وجود كامن بذاته لذلك نقول أن الذات عند ديكارت هي فكر***
>
> “

كم هي جميلة! (قصة لفرانسواز جيرو)

ترجمة: **رجاء عمّار**

باحثة في علوم الإعلام والاتصال

شاعرة وقاصّة

rajabalsam@gmail.com

ديان مستلقية شاحبة، أجفانها مطبقة، يداها قابضتان على حافة الأغطية الخشنة، رقبتها يحيط بها مقوم العنق وذراعها مجبسة، تلعقها أشعة شمس الخريف وقد خرقت النافذة التي رفضت إغلاق مصراعيها. تجلس ماتيلد قبالة سريرها، تترقب منذ سبعين سنة أن تقضي أختها نحبها لتتنفس الصعداء، لكنها، تشعر الآن والموت يهددها كأنها ستفقد عقلها رعبا: "أليست المذنبة، لشدة ما تمنت لها الرحيل! إن الله عليم بما في سرائر خلقه!".. رددت بتلعثم صلاة: "يا الله! لا تجعلها تتألم..."

دخلت الممرضة، جففت بلطف وجه ديان المتفصد عرقا، سوت الوسادة، وقالت لماتيلد: "انظري كم هي جميلة، رغم قسوة الاختبار الذي تمر به!" انزعجت ماتيلد، كم من مرة عليها سماع أن ديان جميلة! المرة الأولى التي أصغت فيها إلى هذا التصريح، حين كان سنها ستة أعوام، وفقدت سنها الثاني وديان في الخامسة من عمرها.

في ذلك اليوم، احتفلت عائلة جرمان لافيت برأس السنة الميلادية في ضيعتهم، حول شجرة الصنوبر العملاقة الموشاة بالأكاليل والشموع، وقد تكدست جوار جذعها الهدايا. جرت كوكبة من الأطفال في كل اتجاه. وضع السيد جرمان اسطوانة في الحاكي كي يحثهم على الرقص، فأمسك عدد منهم بأيدي بعضهم البعض دافعين الأكثر خجلا المتفرقين في أنحاء المنزل إلى الانضمام إليهم. تشبثت ماتيلد بتنورة أمها متوارية عن الأنظار، فجأة، انطلقت ديان في الرقص بمفردها وسط القاعة بثقة لافتة للانتباه.

قالت الأم لماتيلد:

- "انظري إلى أختك، اذهبي للرقص أنت أيضا!"

لكن، الصغيرة قطّبت جبينها وحدثت نفسها مستنكرة هل يمكن أن يظهر المرء مزهوا بنفسه بعد فقدانه لسنّين تركا مكانهما خاليا في وسط فمه! واصلت ديان الرقص بكثير من اللياقة حتى أن أباها هتف من شدة التأثر: "كم هي جميلة طفلتي!" حين انتهت الوصلة الموسيقية رفعها عاليا تعبيرا عن فخره بها. تبادر إلى أذهان بعض الأطفال التصفيق إعجابا، وانبرى آخرون يقلدونها، وهي الملكة المتوجة تستقبل الثناء متصدرة عرش كتفي الأب.

هذه الحادثة، كما تؤكد ماتيلد وهي تحادث نفسها، لم تمحها ذاكرتي أبدا، منذ ذلك الحين، ما عادت ديان منافسة لي على حب والدي فحسب، لكن، غدت الأثيرة، هذا هو الشعور الذي خالجني على الأقل، وأبي هو الذي قادني للتفكير على هذا النحو دافعا هذا الإحساس إلى الاختمار. أعلم أن ما تبادر إلى ذهني ليس صحيحا، وأني لم أحتل أبدا مكانة الفتاة غير المحبوبة، وما حظيت ديان بنصيب أكبر من الدلال، بيد أن ملامح وجهي متجهمة وأطرافي طويلة تثقل حركتي وتعيقني. كنت خرقاء! تبعت هذه الحادثة أخريات كثيرات. تمتعت ديان بصيت ذائع في المدرسة التي لم أتبوأ فيها سوى مرتبة التلميذة الجيدة التي يختلط عليها الأمر في الرسم الصحيح للكلمات. في الحفلات التي يقيمها التلاميذ والتي أمست صيحة ذاك الزمن، تجرّني إليها ديان أين يتحلق حولها الأولاد الذين يزدرونني لعبوس سحنتي. تلبسنا أمي ثيابا متماثلة حسب ما هو دارج في تلك الأيام، بيد أن ديان تتمتع بالأناقة التي أفتقر إليها، لطالما قوّست كتفي كأنهما ترزحان تحت وطأة حمل ما... وزر حقارتي. لم أكن بشعة مطلقا، لكني، اعتقدت ذلك، بالأحرى، لديّ طباع الدميمة التي تملي عليها مواقف بسيطة تصرفاتها. يكمن جوهر المسألة في نيل المرء للإعجاب أو إثارة النفور.. كنت، نحيلة بأطراف طويلة جدا، ورثت ذلك عن أبي، في المناسبة الأولى للعشاء الرباني الذي احتفلت به مع ديان، حين أبصرني الأطفال مارة مرتدية فستاني الأبيض، هتفوا: "تعيش العروس!".. يا لمأدبة التعذيب!

تئن ديان الممدة على الفراش بلطف، تقترب منها ماتيلد وتسألها:

- "هل تحتاجين شيئا؟"

- "أنا عطشى..أريد شمبانيا.."

- "شمبانيا؟ أنت مجنونة!"

- "تعرفين ذلك جيدا..."

نادت ماتيلد وهي ساخطة للممرضة التي همست:

- "استجيبي لطلبها.. ما عاد هناك ما يخشى- أن يسبب لها الأذى!"

ذهبت لجلب الشامبانيا من منزل ديان أين عثرت على الخادمة التي أكدت وهي ما زالت تبكي سيدتها:

- "أحفظ دائما قارورة في البراد، فهي تحبذها مثلجة.. إن طلبها هذا مؤشر جيد.. أليس كذلك؟"

ردت ماتيلد:

-"لا أدري! ربما."

توجهت مجددا إلى المصحة، عادت إلى مكانها وعقدت مجددا حبل أفكارها الذي أفلتته لبعض الوقت...

لا تستطيع ديان أن تفعل شيئا كبقية البشر... حتى موتها.. هو ميلها العارم لإحداث الفرق، لطالما لاحظت عادتها المستهجنة في البروز. ديان فريدة كما يقال.

في الثامنة عشرة، شغفت بإيطالي أربعيني التقيناه في فلورنسا، إذ أرسلنا أبي لنتابع دراسة الفن التشكيلي. نعم، لقد ركزنا في الدرس جيدا!

لقد اتسمت مشاعر الإيطالي بالسخاء كنبع لا ينضب، يعيد على مسامعي دون توان:

- "ديان جميلة جدا! فاتنة الشقرة! أريد منحها كل الكنوز التي تبصرها العين!" يؤجج كلامه رغبتي في خنقه. تبعنا إلى باريس أين قدمته ديان إلى أبوينا قائلة: "أريد الاقتران به!"، فأجبر على الاعتراف مرتبكا أنه متزوج. إنها المرة الأولى والوحيدة التي شاهدت فيها أبي يوبخها بشدة مدفوعا بتوتر أعصابه الثائرة.

اضطرّ الإيطالي إلى العودة إلى بلده، وعلمنا بعد ذلك بأنه سجن طيلة فترة الحرب لكونه مناهضا للفاشية. هو حبيب ديان الأول، لا أدري كيف تدبرا أمرهما، غير أني متأكدة من لقائهما لأني، في مناسبات عديدة، لفقت الحجج لمجابهة استغراب أبي من غياباتها المتكررة... العاهرة الصغيرة!

حين تزوجت طبيبا شابا وذكيا وهو ابن أحد أصدقاء العائلة، أقام أهلي احتفالا كبيرا يرسخ مجد ديان المتألقة. خشيت أن يتقدم بي السن وأبقى عانسا، فقبلت أول خطيب تقدم لي، لكن، اندلعت الحرب وما احتفينا بالمناسبة...

جاءت الممرضة لتحقن ديان. بحثت عن عرق، وضعت رباطا وغرزت الإبرة في شريان الذراع، فابتسمت لها ديان شاكرة... إنها تتمتع بابتسامة جميلة جدا لامست مشاعر الممرضة التي استبد بها التأثر. بدا أنها استرجعت بعض قواها، فنادت ماتيلد:

-"اقتربي.. هل تذكرين زوجي؟"

- "عن أي واحد منها تسألين؟"

- "الأول... هل تذكرين زوجي بلاز؟ أتوق لرؤيته..."

- "لكنه مات يا ديان!"

- " مات بلاز! ذهني مشوش، لقد اعتقدت أن ادوارد هو الذي وافته المنية..."

- "ادوارد أيضا رحل... لقد قتلت كليهما!"

- "لماذا تقولين هذا؟ لقد أحببتهما... أنا..."

لم تستطع مواصلة الكلام فقد أنهكت.

لماذا أنا شريرة إلى هذا الحد؟ سألت ماتيلد نفسها، لماذا أعجز عن محادثتها دون حدة حتى وهي في هذه الحالة؟ أنا خجلى، غير أني أخفقت في التخفف من الحمل الذي جعلتني أرزح تحت وطأته ولم أنجح في التخلص منه حتى في السنوات الأخيرة التي عشناها سوية... في الفترة الأولى من زواجي، لم نلتق إلا في مناسبات قليلة، إذ اهتمت كل منا بحياتها ولم يكنّ زوجانا لبعضهما مودة خاصة، فبلاز فخور بنفسه مزهو وجيل زوجي لا يملك سمة مميزة، يدرّس الآداب في مدرسة خاصة، على أنه زوج مخلص ومثقف.

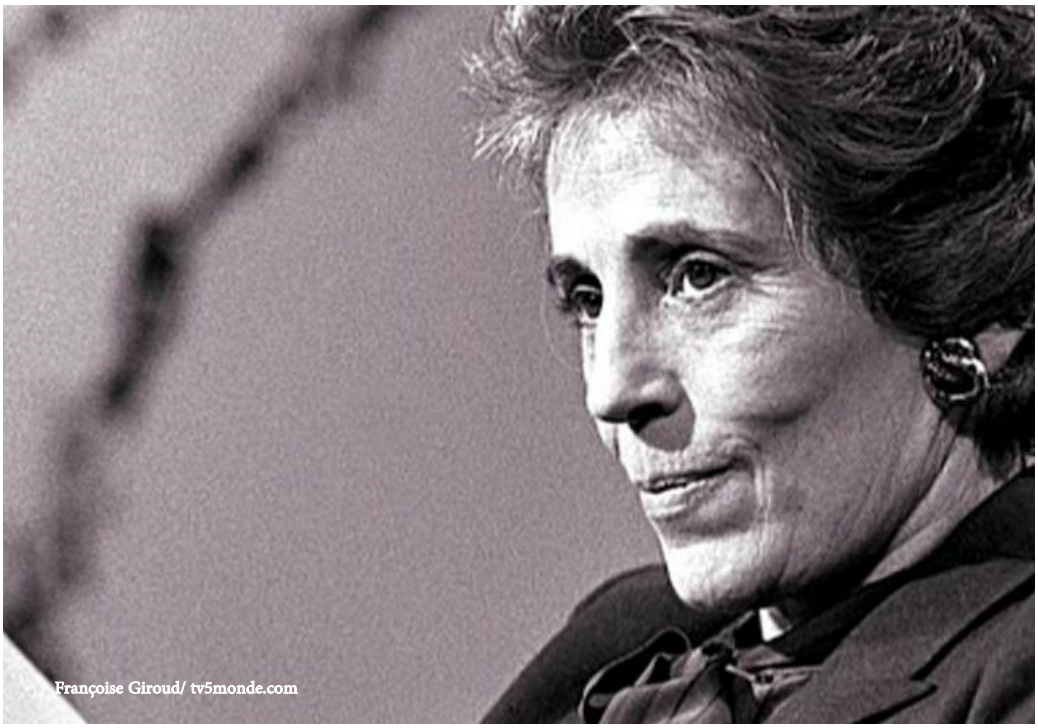
Françoise Giroud/ tv5monde.com

منحني حرية التصرف، اعتبرته ديان غير مرئي، لكن يجب الاعتراف بكياستها في التعامل معه، إذ لم تفوت أبدا ذكرى ميلاده وما نسيت مطلقا هدية رأس السنة، وكل ما قدمته فاخر باهظ، وما استطعت منحها نظيره. زعمت ديان أنها فخورة بي لمواصلتي تعليمي في مدرسة اللوفر على أمل الالتحاق يوما بهيئة المحافظين، رغم اختيارها التخلي عن الدراسات العليا. هذا الشعور الذي سمته فخرا اعتبرته نفاقا. أثناء الحرب، برز ديان وزوجها الشاب كبطلين في صفوف المقاومة، لم تحطني علما بذلك إلا لاحقا دون أن تنتابها لحظة ندم لعدم التفكير في حثي على الانضمام إليهما، في يوم، عاتبتها باستحياء، فأجابتني أن زوجها يجدني ثرثارة جدا غير جديرة بالمساهمة في أعمال سرية. لست ثرثارة، لا أتحدث أبدا أكثر من اللازم إلا إذا شعرت بالخوف، وإذا استبعدني بلاز فلأنه لا يستلطفني.

تزامن ذلك مع موعد إجراء اختباراتي إلا أن القدر لم يمنحني هدنة، إذ غدت مدرسة اللوفر ساحة لأعمال التفجير. لقد حقرتني ديان بمديحها إذن! حصل أن دعتنا ديان وزوجها إلى شقتهما العامرة بالمقتنيات الثمينة. في اغلب الأحيان، تكون أمي موجودة هناك، لقد ضمر جسدها منذ موت أبي الذي قضى نحبه تقريبا مفلسا جراء الحرب، وتكفلت ديان بتأمين احتياجاتها المادية، وهو فعل يستحق الثناء ويفترض أن أهنئها عليه.. لكنه خلق بينهما ألفة وحميمية شعرت أني مقصاة منها. بعدها حدثت المأساة... ربط ابن ديان علاقة صداقة مع زوجي الذي قبل أن يمنحه دروسا خصوصية. إنه فتى أشقر وساحر وله ذات ابتسامة أمه. عادت صلتنا شبه المقطوعة مع ديان إلى التمتن، دون أن ينفي ذلك واقع اختلاف نمطي عيشنا، وما وصلني من أصداء على الحياة الصاخبة التي تحياها، لم يحرضني على الاقتراب.

بلغني من الأقاويل المنقولة أنها تطلقت وأن لديها حبيبا. عشيق إضافي! هاتفتها لأستعلم عن أخبارها. أكدت لي أن كل الأمور تسير على ما يرام، وستفتتح قاعة عرض للفن التشكيلي، لتحقق ما تمنته دائما، لتختم قولها: "نبقى على اتصال". أثارت سخطي مرة أخرى فالفن التشكيلي هو آخر تخصصي منذ بعثتنا الشهيرة إلى فلورنسا، ما المعارف التي تبوؤها للخوض في هذا المجال؟

ديان تهذي. تقترب منها ماتيلد، لكنها، لا تتبين الكلام، ولا تسمع إلا ترديدها: "ابني ...ابني..."، ثم ينقبض وجهها ويتقلص جسدها. لا تريد أن تصغي إلا أنها تعرف ما تقوله ديان... ما لا يغتفر!

حدث ذلك بعد طلاقها. أوكلت لي ديان ابنها توماس ليرافقني في رحلة جبلية بمرافقة زوجي. في الواقع، هي عهدت به إليه كي يساعده على الاستعداد للاختبار في أحسن الظروف، أثناء سفرها حيث لا أدري إلى أين... لقد كنا ثلاثتنا متزلجين جيدين مفعمين بالسعادة التي منحتها لنا هذه الفسحة. كيف للفتى الذي يبلغ خمسة عشر عاما أخذ مبادرة الذهاب للتزلج خارج الحلبة؟

لا أدري.

في ذاك الصباح، بقيت في النزل. بعد ساعة، حصل انهيار ثلجي أثناء مرور توماس عبر المسلك فقتله. اكتنفني الغم، إذ لم أستطع أن أنجب طفلا وتعلقت بالصغير، وأصاب زوجي الهم. اعتقدت أن ديان ستفقد عقلها. في البداية، أثخنتني بالشتائم، مستنكرة سماحنا له بتركه يذهب وحيدا، واعتبرتنا مجرمين، عاملتني كحمقاء. بلاز منكوب لفقدانه ابنه شتم زوجي، في المحصلة، هو الذي لم يملك السلطة اللازمة كي يمنعه من النأي عن الحلبة. بقيت ديان واهنة القوى مدة طويلة، ترفض الحديث مع أي كان باستثناء أمي التي أثقلها الحزن بدورها. خلال هذه الفترة، نجح ادوارد في ملازمتها. إنه تاجر الآثار الذي افتتح لها قاعة العرض التشكيلي وتوجت علاقتهما بالزواج. إن ديان تنجو دائما، لقد أفلتت من قبضة كل مكدر حتى موت ابنها الذي لم يترك أثرا عليها...وإن بإضافة تجعيدتين. إنها لا تقهر...

ديان نامت. أنامت أم...؟ لا! يمكن سماع أنفاسها. تتنهد ماتيلد. أوصتها الممرضة ألا توقظ المريضة، وأغلقت بلطف الشبابيك وغمرت الظلمة الغرفة.

بعد تلك الكارثة، انقطعت صلتنا رغم تأنيب أمي. ما الأحاديث التي سنتبادلها؟ هل من معنى لما سنقوله؟ لكن موت توماس زعزعني، أخفقت في اختباراتي الأخيرة التي استعددت لها، لطالما كنت سيئة في الامتحانات، إذ يستبد بي الارتباك الذي يتولد من شعوري أن الجميع يكرهني.. وأولهم من يمتحنني. فكرت في العثور على عمل لتحسين وضعيتنا المادية لتجاوز عيشة التقشف، لكن أين أشتغل؟ فتشت طويلا دون جدوى... إلى أن اتصلت بي ديان التي بلغها أني بصدد البحث، بادرت قائلة: - "تعالي واشتغلي معي! إني بحاجة إلى شخص ما، وهي فرصتك كي تستثمري معارفك..."

ترددت كثيرا قبل الموافقة على عرضها، حثني زوجي الذي أكد أني أتعفن رويدا رويدا في العطالة. عشت سنوات مرّة وأخرى لطيفة... لطيفة لأن العمل شدني لما تطلبه من تواصل مع

الفنانين المحترفين والهواة، وفسح المجال لاستغلال حضور البديهة في التعامل، إنها الفترة التي شهد فيها العمل نجاحا كبيرا. سنوات مرّة لأن ديان تبالغ كعادتها في حب الظهور وتسيطر علي بصفة مطلقة، مثلما هو الحال في شبابنا، وجدتني قابعة في ظلها، فهي السيدة صاحبة النفوذ، فكيف لا تتحكم والقاعة تحمل اسمها؟ عشقها زوجها ادوارد وأوغل في غرامه بها وغبطه زملاؤه على المكانة التي عرفت كيف تحتلها في سوق الفن. إذا حتمت ظروف خارقة للمألوف واستوجبت التعريف بي، لا يذكر اسمي وإنما يقولون: "أخت ديان". سافرت ديان مع ادوارد كثيرا خارج البلاد لرؤية المعارض وحضور صفقات البيع العمومية، حيث تعود بمقتنيات ذات قيمة كبيرة تدل على رأيها السديد. إنها فطنة نافذة البصيرة. أثناء ذاك الغياب، أتكفل بشؤون قاعة العرض... لأستمتع بأفضل ساعاتي.

استمر هذا الوضع، إلى حين ولع ديان برسام أمريكي، وساءت علاقتها مع ادوارد الأكبر سنا منها بكثير وغدت عاصفة، ديان تبكي غالبا ثم تختفي أمسيات بأكملها، ويبحث عنها في كل مكان دون فائدة، فيصب جام غضبه علي بطبيعة الحال. انتهت الأمور بشكل سيء، لقد قرر التخلي عن القاعة التي يمتلكها ويمولها لمعاقبة ديان، ترك لها مالا وبعض اللوحات الجميلة، غير أن صفقات التسوية اتسمت بالقسوة المتوحشة، لأن ادوارد جرح في الصميم.

فيما يتعلق بالمالكين الجدد، أقروا عدم حاجتهم إلى خدماتي، فطردني إدوارد خلال ربع ساعة، إذ دون شك، أثناء المفاوضات، لم تفكر ديان مطلقا في حمايتي.

انصب اهتمامها على حبها الذي يستعر، وأعلمتني أنها ستتبع عشيقها الرسام إلى الولايات المتحدة أين ستدشن قاعة عرض تشكيلي جديدة. أمطرتها باللوم لأني احتجت للتفريج عن سخطي، قلت لها أنها مخبولة أنانية طائشة.. وهي مخطئة إذا خالت أنها ستحظى دون انقطاع برجال يلبون جميع رغباتها. أذكر أني مررت إصبعي على التجاعيد المحيطة بعينيها، وأجبرتها على تأملها في المرآة، وأكدت:

- "انظري.. هذه بداية النهاية!"

انفجرت ضاحكة وأجابتني:

- "أنت لا تفقهين شيئا! تلك سر فتنتي حين أبتسم!"

وددت لو صفعتها...

ذهبت للاستقرار في نيويورك، وعدت إلى منزلي تعيسة. لم أرها لمدة عشر سنوات.. سنوات معتمة.. وجدتني مجبرة إلى إعادة ترتيب شؤوني كي أظفر باستقرار نفسي ما، غير أن أمي اختفت وزوجي بدأ في المعاناة من سرطان قضى عليه في نهاية المطاف. ساندته في رحلة العلاج بأقصى- ما أستطيع. صحيح أنه لم يتمتع بحضور لافت، لكنه الإنسان الوحيد الذي أحسن معاملتي حتى اللحظة الأخيرة. بعدها، قبل ثلاثة أعوام، في إحدى الليالي...

دخلت الممرضة وهي تحمل محرارا.. تأتي ككل يوم، عند الساعة الخامسة، تقيس حرارة ديان وتمنحها دواء، تسحب الألحفة لتتأكد أن مقوم العنق والجبيرة في مكانهما المطلوب والضمائد المحيطة بصدر المريضة لم تنفلت. صرحت أن الحرارة انخفضت، وهي في درجتها العادية، استفهمتها ماتيلد:

- "ماذا يعني ذلك؟"

- "الالتهاب الذي خشينا أن يطال كامل الجسد توقف عن السريان... اتركيها تنام..."

في ليلة.. وأنا منهمكة في إعداد المعكرونة للعشاء حين رن الهاتف، إنها ديان التي حدثتني كأننا التقينا بالأمس:

- "سأمرّ لأصطحبك إلى مطعم صيني بديع!"

لم يسنح لي وقت للاندهاش، إذ طرقت الباب. لم تعد ديان التي عهدتها، لكنها، تحمل ستينيتها، بكل ما تعنيه كلمة العظمة من معنى، دون أية شعرة بيضاء ونحول لم تعرف مثيله، في حين أن وزني زاد سبعة كيلوغرامات. لا يمكن أن يشي بسنها سوى يديها وعنقها وتغيرا طفيفا في شكل قدميها. عاينت كل ذلك بنظرة عجلى، وأنا أرتمي بين ذراعيها التين أشرعتهما. لم نحضن بعضنا البعض أبدا سابقا. لاحظت أنها ما فتئت وفية للعطر نفسه. اعتقدت أن برق الانفعال ومض في روحينا لأننا التقينا مجددا. انتبهت إلى انعكاس صورتي على مرآة المصعد، وبدوت كأمها بشعري الرمادي.

في المطعم الصيني، انطلقت في سرد مغامراتها الأمريكية، أعلنت أن الرسام بيل هجرها وأضافت:

- "تبين أنه يميل جنسيا إلى الذكور. اعتبرت ذلك مضحكا، هذا لا يمنع أنه رسام جيد جدا وحقق نجاحا باهرا.. تعلمين أن لدي وجهة نظر لا تخيب..."

واصلت قص تفاصيل المحن بسلاسة تشد الاهتمام... فتحت قاعة عرض في حي مرموق بمساعدة حبيبها الجديد فاحش الثراء، لتستدرك:

-"...لكن، الزمان أولى ظهره للفن، وأخفقت في الإقلاع، فغادرت نيويورك وسافرت معه إلى كاليفورنيا وفلوريدا وألاباما... نعتقد أننا نعرف أمريكا حين نزور نيويورك، هذا حكم ساذج.. نيويورك بلد له خصوصيته، من الضروري أن تطلعي على أمريكا الأخرى..."

أجبت:

- "حظوظي قليلة لتحقيق هذه الغاية. لا أملك المال..."

هتفت جذلى:

- "أنا بدوري صرفته كله.. لذلك رجعت. ما زالت لدي الشقة التي تركها لي بلاز وبعض اللوحات. سأبيع واحدة أو اثنتين لتدبر المصاريف. لم أعد في سن يخول لي لقاء حبيب غني... ولا حتى فقير لا محالة!"

قالت كل هذا وهي تقهقه لتنتهي إلى الاستفهام عن حالي، فحدثتها عن حقيقة وضعيتي: وحيدة في شقتي، دون عمل مع منحة التقاعد الهزيلة... فاقترحت:

- "هل تعلمين ماذا سنفعل؟ ستبيعين الشقة أو تؤجرينها، وهو ما سيوفر لك مالا، ونسكن معا، بهذه الطريقة، سنقسم مصاريفنا على اثنين.. وهكذا لن نعود وحيدتين! ما رأيك؟"

عجزت على التفوه بثلاث كلمات بشكل متناغم، لحسن الحظ أن ديان استمرت في الكلام، واستحضرت ذكريات من طفولتنا، لا تشبه ما خزنه ذهني أو نادرا ما يتشابه. بدا لي ما ترويه غريبا ورديا بهيجا وأحيانا مضحكا. أين كنت في هذه الجنة التي تصفها؟

اكتفيت ببعض التعاليق الموجزة بنبرة متلجلجة، وأوغلت في التفكير. سألتني:

- "هل ما زالت على صلة ببعض الأصدقاء؟"

"لا! ابتعدوا منذ مرض زوجي، وما سعيت بعدها إلى ربط العلاقات مجددا."

- "أنا بدوري ما عدت أعرف أحدا في باريس.. سنتدبر هذا الأمر!"

..أن أسكن معها... أن لا أبقى بمفردي كل الليالي آكل المكرونة في المطبخ دون شهية... وحيدة أمام الهاتف الذي لا يرن تقريبا... وحيدة أشاهد التلفاز... ماذا إذا مرضت أو كسرت رجلي؟ ما الذي سأخسره إذا قبلت اقتراح ديان؟ لن أبيع شقتي، سأؤجرها... لا يمكن معرفة ماذا يستجد لاحقا... إنها متقلبة المزاج وقادرة على إحياء علاقاتها وإقصائي... سأحتفظ بمرفإ أمان...

قالت ديان:

- "سنذهب إلى المسرح والأوبرا والمعارض، ستينيتان في قمة الانتشاء تخلصتا من أسر الرجال! يا للراحة سيكون هذا بهيجا.. سترين! في هذا السياق، ما الذي حصل بشأن أستاذ الفلسفة الذي حام حولك مجنونا بحبك؟ هل عشت معه مغامرة عشقية؟"

أجبت مستنكرة:

- "لا أحد جن بي! لا أحد ! عمّ تتحدثين!"

- "متأكدة مما أقول، لكن الشقي يغالب الخجل فيغلبه، فينبري يشرح أفكار سبينوزا عوض الحديث عن الحب... شعرت بالذهول، بعدها، رددت:

- "لم يحدثني أحد عن الحب ديان، وأنا لم أحب أحدا... ما عداك!"

أفلتت مني الجملة الأخيرة.

- "عنزتي المسكينة، هذا لأنك عاجزة عن الإنصات. نحن متفقتان أن لشخصيتك خصوصيتها، كما قال إدوارد: أختك تشتغل

جيدا، إلا أنها سيئة الطباع، يشعر المرء أنها لطالما تعرضت للتعنيف!"
شعرت بالاستياء وهمهمت:
- "يوم طردني.. هو من تقمص دور المعنف"
دخل الجراح الغرفة متبوعا بالممرضة التي أنارت المكان، حيا ماتيلد، اقترب من ديان وسأل:
- "هل تم تغيير الضمادات؟ حسن. الحرارة؟ جيد. جيد جدا! هل تشكو بصفة دائمة؟"
ردت ماتيلد:
- "لا...تألمت قليلا فحسب..."
- "حسنا. دعيها ترتاح... إنها بحاجة إلى النوم!"
خرج ولحقته الممرضة بعد أن أطفأت الضوء.
تقبع ماتيلد الآن في العتمة... لقد خيّم الليل ويمكنها ترك مكانها حذو ديان، لكنها، لم تجد حافزا للمغادرة، فعملية استرجاع الماضي أثقلتها كثيرا، أربكت ذهنها المصرّ على الاستمرار في التوغل، ستتبعه لبعض الوقت... ربما تعثر، في غابة الذكريات هذه، على كوة ما؟
قبلت العرض لنبدأ معا حياة جديدة. باعت ديان إحدى اللوحات البديعة لستائيل، وأبدت استعدادا للتمادي والتفويت في كل شيء، لكني، أمسكت زمام الأمور وصادرت دفتر الشيكات لتغدو مجبرة أن تطلبه مني، وراقبت مصاريف المنزل، مدققة في تدبير الخادمة الكاريبية، واعتبرت وجودها ترفا، إلا أن ديان بتت في هذا الشأن بشكل قاطع:
- "لم نخلق للقيام بأعمال المنزل!"
طلبت أن أصبغ شعري غير أني رفضت، فحاولت إقناعي:
- "ستبدين أصغر سنا بعشر سنوات على الأقل!"
-" ما الفائدة؟ لن أغدو مثيرة في هذا العمر..."

- "لا تنسي أن لنا ذات السن! تشعرني رؤيتك بهذا المظهر أني عجوز!"
استسلمت لرغبتها لأرتاح من مضايقاتها المتكررة، بعد ذلك، ما اكتفت بهذه الصبغة وتحولت مسألة الاعتناء إلى أعمال شاقة وباهظة وزائدة، غير أن ديان تدفع برحابة صدر، وأرادت أيضا التدخل كي تختار لي ثيابي.
- "لا تعولي عليّ لارتداء فساتينك القديمة!"
قلت ذلك، وأنا أتذكر كيف يتم تقصير فساتيني لترثها ديان، في طفولتنا. لماذا وجهت لها هذه الملاحظة المسيئة؟ إنها العادة على ما أعتقد، لأني لا أثق بالكرم المجاني منذ أوتني ديان، لم أتوقف عن التساؤل عن دوافعها العميقة. مشاركتي في المصاريف ضئيلة جدا! إنها تدفع كل شيء: ثمن تذاكر العروض أين نذهب أغلب الوقت، مصاريف ارتيادنا المطعم، كلفة حصصنا عند الحلاق الذي تسحبني إليه...
استرجعت بعض العلاقات مع أصحاب القاعات الفنية أين خلفت ذكرى متقدة، بيد أن أغلبهم يعاني مصاعب مالية... إن لم يغلق بعد.
ذات ليلة في الأوبرا، ذهبنا للإصغاء إلى مقطوعة "فارس الزهرة"، ارتمت ديان بين ذراعي رجل مسن احتفظ بقسامته... إنّه أحد أصدقائها منذ عهد بلاز، حين كانت تستقبل الرائحين والغادين إليها، أفعمه التأثر للقائها مجددا، لينطلق خطابه بصفة طبيعية:
- "كم أنت جميلة يا ديان!"
هل يجوز ألا يعيد هذه الترديدة المملة!
تولت ديان تقديمي إليه، ليعلق:
- "ما علمت أن لديك أختا...إنها تشبهك، لا محالة..."
لم يجانب كلامه الصواب.. لدينا شبه عائلي كما يقال، ذات الوجه البنّي والتباعد بين العينين... تفحصني الرجل بنظرة متفاجئة من الأعلى حتى حذائي... ملابسي الرثة لا تمت بصلة إلى نوعية ثياب ديان البتة. ثرثرا برهة، إلى حين الإعلان عن انتهاء فترة الاستراحة، لم يشغل مقعدا في ذات الطابق، فاضطرّ إلى الانصراف.
لاحظت أن ملامح ديان أشرقت إثر اللقاء، ووعيت أنها امرأة عاشت دائما محاطة بحاشيتها حتى حرمت من هذا الالتفاف... أنا حاجزها الأخير ضد العزلة التامة. لقد جعلتني أضطلع بهذه الوظيفة وأطعتها تحت وطأة عاطفة لا أتبينها... وهي... ماذا فعلت؟ حرمتني من القهوة لأنها حسب ادعاءها توتر أعصابي، فرضت أن أرتدي مشدا لألملم ترهلي، نكدت عيشي- بإلحاحها كي أستبدل سنا اسود لونه.. وماذا أيضا! إنّ جعلي هدفا مباشرا لسليقتها الفطرية للسيطرة التي لطالما تعاملت على أساسها مع الآخرين يرجع إلى عدم إيجادها أشخاصا أشدّ قيمة مني... تشاجرنا كثيرا بسبب أمور غير ذات بال، مجرد ترهات، كعدم تقاسم نفس الرأي حول فيلم أو كتاب أو طريقة طبخ فخذ خروف، نتشاحن حول قطي الذي أفسد الأرائك، فهي ترفض اعتنائي بقط.
نتوقف دائما قبل تطور الخلاف، فهي خائفة بشكل جلي أن أصفق الباب ورائي وأغادر.
في أحيان كثيرة، فكرت أن أدفع ثمن هذه الهدية التي منحتني إياها، وأبوح لها بكل ما يعتمل في صدري: عاداتها المستهجنة، صبيانياتها الزائفة، هذا السخاء الذي تنتظر من أختها الكبيرة الفقيرة تقديره كمعروف يتطلب التعبير عن الامتنان، وهي التي تمتنع عن التفوه بكلمة "شكرا" كأنها ستسلخ شفتيها.
لكني، بقيت لأسباب مبتذلة... كيلا أعود إلى شقتي المظلمة. كي لا أحرم نهائيا من التنزه. كي لا أضطر إلى تشغيل المكنسة الكهربائية وأخرج لألقي القمامة. وجب الاعتراف أنها دوافع غثة، إذ تعوزني الإمكانيات كي أحيا بنبل.
عشنا معا ثلاث سنوات، إلى أن قالت ديان ذات صباح، وهي تتناول فطور الصباح مستلقية على فراشها -وهو من بين التصرفات التي تغيظني-:
- "هيا نذهب إلى الريف.. الشمس بديعة وأحتاج لرؤية الخضرة... ما رأيك؟"
لست مولعة بذاك المكان، واقترحت أن تقصده وحدها، فقرعتني كما لو أنني سائق غير مطيع. تدّعي أنها لا ترى جيدا، لذلك أولتني القيادة، أما السبب الحقيقي يتمثل في انزعاجها من البحث عن مكان تركن فيه السيارة. ابتعدنا عن باريس قرابة خمسين كيلومترا، بلغنا طريقا أعرفها جيدا لأنها قريبة جدا من منزل طفولتنا... صدح الراديو بأغنية لجانسبورغ الذي تعشقه ديان، غمرتها السعادة، وعلا صوتها بالغناء، وفجأة... فجأة...
"أخبريني ماذا حصل تحديدا سيدتي!"
- "لقد سبق وفعلت سيدي المفتش، كنت أقود السيارة بهدوء...
- "أكد الشاهد أن السرعة فائقة!"
- "كما تشاء... كنت أقود... على حين غرة، برزت شاحنة صغيرة من المنعطف، وصدمتني بقوة..."
- "هل انتحيت الجهة اليمنى أم اليسرى؟

- "اليمنى."
- "كنت في الجهة الخطأ إذن.. واصلي!"
- "تلقيت صدمة مهولة...ترجلت واهنة القوى، واستدرت نحو باب السيارة الآخر الذي تحطم فعلق وما تمكنت من فتحه ... أبصرت أختي التي تدحرجت من مكانها، لم تربط حزام الأمان.. لطالما أوصيتها: "ضعي الحزام!"، غير أنها لا تستجيب ولا تفعل إلا ما يحلو لها...اقتربت سيارة وتوقف سائقها فطلبت النجدة..."
- "هل تعرفين أن أختك مصابة إصابة خطرة وهي في حالة حرجة؟"
- "أعلم"
- "حسنا! سأعيد استدعاءك إذا استوجب الأمر"
رحلت ديان بعد أسبوع من الحادث، في الليل، دون أن تتوجع، فقد أغدق جسدها بالمورفين، لم تدرك ما الذي حصل تحديدا.
ورثت شقتها ولوحة أخيرة لديبيفاي عرضتها للبيع وبعض الحلي زهيدة القيمة منحتها للخادمة التي لم تتوقف عن البكاء.
عاد الفراغ إلى الهيمنة على أيامي، لذلك أستغل الساعات في تكرار مشاهدة الأشرطة التي أخرجها أبي مستعملا آلة التسجيل. أراني مع ديان المتفتحة في أعمار مختلفة، وأظهر دائما بملامح فزعة شبيهة بعمود مذعور!
عجزت عن النوم، يستمر ذهني في التفكير بشكل لا نهائي في علاقتي بأختي، منذ اليوم الذي قدمت فيه وليدة إلى المنزل إلى اللحظة الموجزة التي تأخرت فيها عن الضغط على المكابح. ما الذي جرى لي حينها؟

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: @tounesaf